الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله

لم تكن الندِيّة هنا ما بين فريق وآخر.. أو بين رأي وآخر.. وإنما كانت ندية في حب الله والجهاد في سبيله.

رجلان هما في عمر واحد تقريبًا.. آخى بينهما رسول الله في مكة لتستمر رحلتهما الطويلة بعد ذلك في الجهاد في سبيل الله، ويقترن اسمهما معًا.

هو الزبير بن العوام القرشي ابن عمة رسول الله محمد بن عبد الله، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ومن السابقين إلى الإسلام.. يُلقب بـ "حواري رسول الله" لأن النبي قال عنه يومًا: إن لكل نبي حواريا وحواريه هو الزبير، كما أول من سل سيفه في الإسلام، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب ليختاروا الخليفة من بعده، وهو أبو عبد الله بن الزبير الذي بويع بالخلافة، ولكن خلافته لم تمكث طويلًا وسنتحدث عنه لاحقًا.. وهو أيضًا زوج السيدة أسماء بنت أبي بكر، الملقبة بذات النطاقين.

أما طلحة فهو ابن عبيد اللّه التيمي القرشي.. أحد العشرة المبشرين بالجنة ومن السابقين الأولين إلى الإسلام وأحد الستة أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب ليختاروا الخليفة من بعده، قال عنه رسول الله إنه شهيد يمشي على الأرض، فكانت بشرى له بالشهادة، كما أنه كان شديد الثراء والتصدق بأمواله حتى لقَّبه رسول الله بطلحة الفياض.

أسلم الزبير وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل ابن اثنتي عشرة سنة، وقيل ابن ثمان سنوات، وكان إسلامه بعد إسلام أبي بكر الصديق، فقيل إنه كان رابع أو خامس من أسلم، هاجر إلى الحبشة في الهجرة

الأولى ولم يطِل الإقامة بها، وتزوج أسماء بنت أبي بكر وهاجرا إلى يثرب - التي سميت فيما بعد بالمدينة المنورة، فولدت له عبد الله بن الزبير، فكان أول مولود للمسلمين في المدينة، وتم الاحتفال بولادة عبد الله؛ لأن اليهود كانوا قد أشاعوا أنهم سحروا للمسلمين حتى لا يولد لهم ولد ولا يتكاثروا بعد دخولهم يثرب.. فكانت ولادة عبد الله دليلًا على كذبهم.

كان طلحة بن عبيد الله أيضًا من السابقين الأولين، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، حيث كان من الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق، هاجر طلحة إلى المدينة المنورة بعد هجرة النبي محمد، حيث كان في تجارة في الشام.. وفي طريق عودته إلى مكة، لقي النبي وأبا بكر، وهما في طريقهما إلى يثرب، فكساهما من ثياب الشام ثم عاد إلى مكة وأخذ أهل بيت الصديق وخرجوا مهاجرين إلى المدينة.

شهد الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله جميع الغزوات والمشاهد مع رسول الله.. وكانا من الفرسان والقادة.. يروى أن الزبير قد أصيب جسده بكثير من الطعن والرمي؛ فكان به أكثر من ثلاثين طعنة وأثرا للجروح.. أم طلحة فقد دافع عن رسولنا الكريم في غزوة أحد حتى شلت يده ويقال إنها ظلت كذلك حتى وفاته.

كان الزبير وطلحة من جملة أنصار عثمان بن عفان في الفتنة الإسلامية الكبرى، فلما قتل عثمان، ندم الزبير وأصحابه على عدم مساعدته، وعزموا على الأخذ بثأر عثمان، وبعدما بويع علي بن أبي طالب بالخلافة، طلب منه الزبير وطلحة تعجيل إقامة القصاص، واقترحا أن يخرجا للبصرة والكوفة، فأمرهما علي بالتريث والانتظار حتى تهدأ الأمور قليلًا، وبعد مرور أربعة أشهر من مقتل عثمان، خرج الزبير وطلحة معتمرين إلى مكة، والتقوا بعائشة بنت أبي بكر، ودعا الزبير الناس إلى الأخذ بثأر عثمان والقصاص له من قاتليه.

قرر الزبير وطلحة ومن معهما بعد ذلك الخروج إلى البصرة ثم الكوفة والاستعانة بأهلها على قتلة عثمان منهم أو من غيرهم، ثم يدعون أهل الأمصار الأخرى لذلك.. ولما وصلوا البصرة أرسل لهم والي البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري يسألهم عن سبب قدومهم فأخبروه أنهم أتوا مطالبين بدم عثمان.. رأى عثمان بن حنيف أن يمنعهم من دخول البصرة حتى يأتي على بن أبي طالب.. فقام طلحة ثم الزبير يخطبان في أنصار المعسكرين فأيدهما أصحاب الجمل، ورفضهما أصحاب عثمان بن حنيف، ثم قامت أم المؤمنين عائشة تخطب في المعسكرين، فثبت معها أصحاب الجمل، وانحازت إليها فرقةٌ من أصحاب عثمان بن حنيف.. جاء بعد ذلك حكيم بن جبلة العبدي، وهو من قتلة عثمان وسب السيدة عائشة، وكان لا يمر برجل أو امرأة ينكر عليه أن يسب عائشة، إلا قتله، فانتشب القتال بين المعسكرين، واقتتلوا قتالًا شديدًا، فقتل عدد ممن شارك في قتل عثمان قدِّر بسبعين رجلًا، واستطاع الزبير وطلحة ومن معهما أن يسيطروا على البصرة، وتوجه الزبير إلى بيت المال، وأخلى سبيل عثمان بن حنيف.

وصل علي بن أبي طالب إلى ذي قار، وأرسل الرسل بينه وبين طلحة والزبير وعائشة، فأرسل القعقاع بن عمرو الذي سعى بين الفريقين بالصلح، اتفقا بالفعل على الصلح، وعاد القعقاع إلى علي وأخبره بما فعل، ولكن هذا الأمر لم يرضِ جماعةً من قتلة عثمان كالأشتر النخعي وشريح بن أوفى وعبد الله بن سبأ، فأشعلوا القتال بين الطرفين مرةً أخرى.

حاول طلحة إيقاف القتال، فأخذ يهتف في الجمع بإيقافه حتى أصابه سهمٌ في ركبته فقطع من رجله عرق النَسا، فلم يزل دمه ينزف،

حتى مات، فكان طلحة هو أول قتيل في المعركة.. وقيل: إن السهم أصابه في حلقه فمات من فوره.

يروى في عدة روايات تاريخية أن قاتل طلحة، هو مروان بن الحكم مؤجج الفتنة الكبرى منذ بدايتها، ومن هذه الروايات ما ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، عندما قال: إن مروان رمى طلحة بسهم فقتله في الحال.

انصرف الزبير عن القتال بعد وفاة أخيه وصديق عمره وقرر ترك ساحة القتال، اتهمه البعض بالجبن، ولكن أول من سلَّ سيفًا في سبيل الله لم يلق بالًا بهذه التُرهات، ولما رجع الزبير متوجهًا إلى المدينة، لحقه ابن جرموز بوادي السباع، فقتله وهو يصلي.

يعد الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، أحد أكثر الشخصيات تبجيلًا عند أهل السنة والجماعة، حيث يرون أنهما من السابقين الأولين إلى الإسلام، وأنهما من العشرة المبشرين بالجنة، وأنهما أيضا كانا من الستة أصحاب الشورى، كما أنهما كانا من كبار المجاهدين في سبيل الله، وشهدا جميع غزوات الرسول.

بينما يرى الشيعة أن الزبير وطلحة ماتا كافرين لقتالهما علي بن أبي طالب، وتروي كتب الشيعة قولًا منسوبًا للإمام علي يقول فيه إن أئمة الكفر في الإسلام خمسة: وهم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري، كما أن انصراف الزبير عن القتال في معركة الجمل ومقتل طلحة فيها، لا يشفع لهما.

ارتبطا ببعضهما منذ إسلامهما وحتى استشهادهما، فكانا خير الأنداد وأوفى الأصدقاء.